الجمهورية اليمنية
جامعة تعز
نيابة الدراسات العليا
الإدارة العامة للبحث العلمي

TURJ

مجلة بحوث جامعة تعز

Taiz University Research Journal

ISSN:7848-2958

سلسلة الآداب

والعلوم الانسانية والتطبيقية

مجلة دورية محكمة تصدر عن جامعة تعز
العدد السابع والثلاثون سبتمبر 2023

مجلة بحوث جامعة تعز Taiz University Research Journal
العدد (37) Issue (37)
TURJ
ISSN : 2958-7848 Vol.33,pp. 6 - 29
سبتمبر 2023م September 2023

نماذج من المهن المنبوذة في المجتمع اليمني بين المنظور الإسلامي والعرف الاجتماعي

الباحث / جميل صالح محمد فرحان

Farhan.gamilo@gmail.com

الملخص

يعتبر هذا البحث مساهمة بسيطة في طريق التنوير الثقافي حول إزالة الرواسب العنصرية المتوارثة عبر الأجيال، والقائمة أساسًا على الفرز العنصري، وتكريس الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد، حيث تم دراسة هذه الظاهرة تحت مسمى : نماذج من المهن المنبوذة في المجتمع اليمني بين المنظور الإسلامي والعرف الاجتماعي، والدراسة لم تتضمن كل المهن المنبوذة في المجتمع اليمني وإنما تم التركيز على المهن ذات القواسم المشتركة بالنظرة الدونية عند غالبية أبناء المجتمع اليمني، وقد تم دراسة هذا الموضوع في أربعة مباحث، تحدث المبحث الأول عن مفهوم هذه المهن المنبوذة وبيان أهميتها من الجانبين الجمالي والحضاري، وتحدث المبحث الثاني عن النظرة العامة للعاملين فيها وبيان أسباب تلك النظرة الدونية نحوهم، وتحدث المبحث الثالث عن المنظور الإسلامي الأصيل لأصحاب المهن والأعمال الحرفية، وفي المبحث الرابع تم الحديث عن الآثار المترتبة على ازدراء هذه المهن ثم بيان طرق ووسائل علاج تلك النظرة الدونية، فالبحث في هذا الموضوع من الأهمية بمكان كونه يعالج ظاهرة اجتماعية تهدد المجتمع بمزيد من الكراهية والانقسام، وتتعارض مع ما يقيمه الإسلام من معايير للتفاضل والتكريم.

أولًا المقدمة.

الحمد لله القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. والصلاة والسلام على رسول الله القائل: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»().

وبعد فإنه لمن المؤسف حقًا أن تجد كثيرًا من الناس لا زالوا يعيشون بعقلية الجاهلية الأولى بعد أن نسفها الإسلام ومحى آثارها من الأساس، فهناك من لا زال يعير الآخرين ليس لعدم كفاءتهم في تقديم الأعمال النافعة، أو لقيامهم ببعض الأعمال التي تزعزع الأمن وتذهب بالسكينة العامة، بل لكونهم يعملون أعمالًا حرة وحرفية لكنها في نظرهم دونية، على الرغم من أهمية هذه الأعمال والمهن إلَّا أن النظرة الدونية لها بقت يتوارثونها عبر الأجيال كجزء من التركيبة الثقافية، لذا وجد الباحث دافعًا لدراسة هذه القضية، ومعرفة كثير من الأسرار والخلفيات وراء تلك النظرة الدونية، مع محاولة وضع الحلول والمعالجات لها قدر الإمكان، وذلك كمحاولة متواضعة لتقديم رؤية حول « المهن المنبوذة في العرف الاجتماعي اليمني بين المنظور الإسلامي والعرف الاجتماعي».

ثانيًا: مشكلة الدراسة.

تتمثل مشكلة الدراسة في بروز العصبية القبلية والتفاخر بالأنساب- خصوصًا في هذه الآونة الأخيرة-، والتي قد تؤدي إلى وقوع مشاكل أسرية أو جنائية، دافعها بالأساس نظرة استعلائية من البعض تجاه البعض الآخر.

ثالثًا: أهمية دراسة الموضوع.

تتمثل أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج مشكلة اجتماعية قائمة على نظرة استعلائية تجاه أصحاب بعض المهن، ومحاولة البعض النفخ في جسد العصبية القبلية لفرز المجتمع على أساس المهنة والنسب، واعتبار ذلك استحقاق تترتب عليه بعض الحقوق والواجبات. وهي نظرة تتعارض مع المنظور الإسلامي وأسس الدين الحنيف.

رابعًا: سبب اختيار الموضوع.

رغبة الباحث في تقديم رؤية واضحة حول مكانة أصحاب هذه المهن حسب المنظور الإسلامي، ومحاولة الإسهام في تقليص دائرة التفاخر بالأنساب التي تتعارض مع المفهوم الإسلامي الصحيح لمعيار التفاضل والتكريم.

خامسًا: أهداف الدراسة.

١ -بيان أهمية المهن التي يصنفها المجتمع اليمني بأنها مهن منبوذة حيث أنه لا يمكن قيام مجتمع حضاري بدونها.
٢ -محاولة تصحيح النظرة السلبية والاستعلائية تجاه القائمين بهذه الأعمال، وفق النظرة الإسلامية الصحيحة.
٣ -رفع الروح المعنوية لدى العاملين في هذه المهن، وبيان الخدمات الجليلة التي يقدمونها للمجتمع والتي تستوجب الشكر والإشادة لا الاحتقار والإهانة، وبعث روح الطموح لديهم للمشاركة في الإسهام بمختلف مجالات الحياة.

سادسًا: منهج الدراسة.

سلك الباحث في دراسته لهذا الموضوع وفق المنهج الوصفي والاستقرائي كمنهجين أساسيين مع الاستفادة من بقية المناهج البحثية الأخرى كالمنهج التحليلي.

سابعًا: الدراسات السابقة.

لم أقف على دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع .

ثامنًا: هيكل البحث.

بعد الحديث عن مقدمة الدراسة وما اشتملت عليه من بيان المشكلة، والأهمية، والسبب الدافع لاختيار الموضوع، والأهداف المرجو تحقيقها منه، ثم بيان المنهج الذي سوف أتبعه في هذه الدراسة.

سيتم تقسيم هذا الموضوع إلى أربعة مباحث وخاتمة، تتلوها النتائج والتوصيات على النحو التالي.

المبحث الأول: مدخل إلى الدراسة وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم المهن المنبوذة، والعرف الاجتماعي، والمنظور الإسلامي

المطلب الثاني: أنواع المهن المنبوذة في العرف الاجتماعي اليمني.

المطلب الثالث: أهمية المهن المنبوذة في حياة المجتمع وعلاقتها بالجانب الجمالي والحضاري.

المبحث الثاني: النظرة العامة للعاملين في المهن المنبوذة في العرف الاجتماعي اليمني، وبيان أسباب تلك النظرة الدونية للعاملين فيها، وفيه مطالبين.

المطلب الأول: النظرة العامة للعاملين في المهن المنبوذة في العرف اجتماعي اليمني.

المطلب الثاني: أسباب النظرة الدونية للعاملين في المهن المنبوذة..

المبحث الثالث: المنظور الإسلامي لأصحاب المهن والأعمال الحرة، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مكانة العمل في المنظور الإسلامي.

المطلب الثاني: الغاء التمايز الطبقي، وإرساء مبدأ المساواة.

المطلب الثالث: العلم هو من يصنع الرفعة والمجد وليست الأنساب والألقاب.

المبحث الرابع: أثر ازدراء هذه المهن والعاملين فيها، وبيان طرق ووسائل علاج العرف الاجتماعي إزاء تلك المهن. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: أثر ازدراء هذه المهن والعاملين فيها.

المطلب الثاني: طرق ووسائل علاج العرف الاجتماعي ازاء تلك المهن والقائمين عليها.

تاسعًا: النتائج والتوصيات.

عشرًا: قائمة المراجع.

المبحث الأول

مدخل إلى الدراسة وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم المهن المنبوذة، والعرف الاجتماعي، والمنظور الإسلامي.

أ/ **تعريف المهن** هي: مصدر مهن يمهن، مهنًا ومهنةً ، فهو ماهن، والمفعول ممهون() . والمهن في اللغة تأتي لمعنيين هما:

١ -الخِدمة، يقال: مَهَنَهُم خَدَمَهُم، وقد مَهَن القوم يَمْهُنَهُم مِهْنَةً، أي خَدَمَهُم. والمَاهِن :الخَادِم() .
٢ -الحذاقة في العمل() . أي: المهارة في العمل وإجادته .

فالمهنة هي: عمل أو وظيفة منتظمة وخاصة لشخص مناسب ومؤهل لهذه المهنة() .

ب/ تعريف المنبوذة: النبذ مصدر نَبَذَ يَنْبِذُ ويَنْبُذُ، نَبْذًا ونبذانًا، فهو نابذ، والمفعول منبوذ ونبيذ() والنبذ: طرحك الشيء من يدك أمامك أو وراءك. نبذت الشيء أنبذه نبذًا إذا ألقيته من يدك، ونبذته، شدد للكثرة. ونبذت الشيء أيضًا إذا رميته وأبعدته() . ونبذ الأمر أو العمل تركه وأهمله ولم يعمل به().

أمَّا مفهوم المهن المنبوذة باعتباره مركبًا إضافيًا فيمكن تعريفها بأنها: مجموعة الأعمال الحرفية أو الوظيفية التي يحتقرها أبناء مجتمع ما وينظرون بنظرة دونية لمن يزاولها وفقًا لاعتبارات وعادات اجتماعية خاصة.

ج/ مفهوم العرف الاجتماعي: تكاد تكون التعاريف للعرف الاجتماعي متقاربة فقد قيل في مفهوم العرف بأنه: ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم() .

وقيل هو: هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول() .

والملاحظ على التعريف الأول أنه جعل العرف الاجتماعي ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم بغض النظر عن كونه حسنًا أو قبيحًا، صحيحًا أو غير صحيح.

وأمَّا التعريف الثاني فقد اشترط للعرف شرطين مهمين وهما: شهادة العقول على صحته، وقبول الطباع السليمة له. وبقي شرط أساسي لم يتناوله وهو المعيار الذي يوزن به كل عرف وتحاكم إليه كل عادة وهو موافقته لقواعد الدين الكلية وعدم معارضته لها.

كما أن شهادة العقول على صحته لا يلزم منه أن يكون صحيحًا في ذاته، وأوضح مثال يمكن أن نستحضره هنا أن عرف أهل الجاهلية كان قائمًا على اعتبار أن الأصنام تقربهم إلى الله زلفى، لأنها عادة توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، وقد جاء

الإسلام ينقض هذا العرف المعتقدي ومبينًا لهم ان اعتبارهم ذلك الأمر صحيحًا بحسب عقولهم لا يجعله كذلك في حقيقة الأمر.

د/ مفهوم المنظور الإسلامي للأعمال الحرفية: يقصد بالمنظور الإسلامي هنا: الفلسفة الفكرية والشرعية لكيفية التعامل مع مختلف الشرائح المجتمعية في شتى المجالات والأعمال المهنية، وفقًا للمنظور الإسلامي –المستمد من نصوص القرآن وصحيح السنة والأفهام السليمة المتوافقة معهما- لتلك الأعمال والقائمين عليها.

المطلب الثاني: أنواع المهن المنبوذة في العرف الاجتماعي اليمني

تتوزع المهن المنبوذة في العرف الاجتماعي اليمني وفق أربعة محاور يندرج تحت كل محور العديد من المهن والأعمال والتي سوف يتم الحديث عنها في هذا المطلب وفق النقاط التالية:

١ -المهن الوظيفية.
٢ -المهن الصناعية.
٣ -المهن الزراعية.
٤ -المهن اليدوية.

أولًا: المهن الوظيفية

ويمكن الاشارة هنا إلى مهنتين من المهن الوظيفية ذات النظرة الدونية في العرف الاجتماعي اليمني وهما:

أ- **الطب البيطري:** وهو الطبيب الذي يعمل على تطبيق المبادئ الطبية والتشخيصية والعلاجية على الحيوانات الانتاجية. وقد بدأ الاهتمام به قديمًا حيث تم الاعتناء بالخيول والبغال بصورة خاصة لاستخدامها في الجيوش ثم توسعت هذه المهنة لتشمل كل الحيوانات تقريبًا() .

ب- **عامل النظافة:** وهو موظف يتبع القطاع العام أو الخاص مهمته جمع القمامة والتخلص منها وفق معايير محددة من قبل الجهة الإشرافية.

ثانيًا: المهن الصناعية

ويمكن الاشارة هنا إلى مهنتين صناعيتين من المهن ذات النظرة الدونية في العرف الاجتماعي اليمني وهما:

أ- **الدباغة:** وهي عملية تحويل جلد الحيوان بعد سلخه إلى المنتج المفيد، حيث تحفظ الجلد المدبوغ من التعفن، وتعطيه مرونة ومتانة، وتجعله ذات استخدامات واسعة للعديد من الصناعات الجلدية والأقمشة ونحوها() .

ب- **صناعة الفخار:** وهي من أقدم الصناعات التي عرفتها البشرية، وهي عملية حرق الطين ومزجه ببعض المكونات ليسهل تشكيله والحصول منه على أدوات مختلفة سواءً للزينة أو للطهي أو غيرها من الاستخدامات().

ثالثًا: المهن الزراعية

ويمكن أن نشير هنا إلى نوع واحد من أنواع المزروعات التي ينظر المجتمع اليمني بنظرة دونية لمن يمارسونها رغم أن الجميع يشتريها ويتناولها وهي نبتة الكراث وكذلك البصل والثوم. حيث يقول سمير النمري: « في اليمن تزرع كراث أو تبيعه فأنت مغضوب عليك ويتم منعك من الزواج من القبيلة ويتعامل معك بدونية واحتقار. ثم يواصل كلامه فيقول: ما الذي صنعه الكراث ليكون بهذا السوء؟! في إحدى المحافظات كنت اطلعت على قصة شخص قام بتطليق زوجته ومعه منها ٣ أبناء بعد اكتشاف عالته أن جدها كان يبيع الكراث... ثم يقسم بالله أنه سمع هذه القصة من الشخص نفسه وكان يحب زوجته بشدة لكنه استجاب لضغوط عالته() .

رابعًا: المهن اليدوية

وتعد المهن اليدوية المنبوذة في المجتمع اليمني كثيرة وسنكتفي بذكر نماذج منها مع تعريف مقتضب لكل منها حتى لا يتشعب بنا الكلام ونخرج عن التكييف المؤطر لهذا البحث ومنها:

أ- **الجزارة أو القصابة:** وتعني مزاولة ذبح الحيوانات بمختلف مسمياتها وسلخها وبيع لحومها والتعيش من وراء ذلك.

ب- **الحلاقة:** هي عملية قص الشعر (شعر الرأس واللحية، أو الرأس فقط) والذي يقوم بهذه المهنة يعرف باسم الحلاق. «ويمكن القول بأن الحلاقة فن وفكر وعلم»() .

ج- **الخرازة:** خرز الخف وغيره يخرزه، أي خاطه، والخرازة بالكسر حرفته() . ويقال له: الإسكاف وهو صانع الأحذية ومصلحها() والخراز: خصاف، وهو مرقع الأحذية البالية() .

د- **الحجامة:** عبارة عن إخراج الدم الفاسد في البدن() والحجام : المصاص، يقال للحاجم حجام لامتصاصه فم المحجمة، و المِحْجَم، بالكسر، الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المص، والمَحجم أيضا مشرط الحجام؛() .

المطلب الثالث: أهمية المهن المنبوذة في حياة المجتمع وعلاقتها بالجانب الجمالي والحضاري

تعتبر هذه المهن من المهن الأساسية والضرورية التي تفرضها طبيعة التجمعات البشرية، وهي كذلك من المهن الجمالية التي تبرز الوجه الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات خصوصًا إذا مورست بطريقة حضارية وفق معايير محددة.

وعليه فيمكن أن نبين أهمية هذه المهن من خلال الآتي:

- **بالنسبة للطبيب البيطري** يعتبر خط الدفاع الأول والهام لصحة وسلامة الإنسان والحيوان والبيئة والمجتمع ككل من الأمراض ذات المصدر الحيواني، ويكفي في هذا الصدد أن نعرف أنَّ أكثر من ٢٠٠ نوع من الأمراض التي تصنف بعضها على أنها خطيرة وفتَّاكة يمكن أن ينتقل بعضها من الحيوان للإنسان والعكس، كالتسممات الغذائية، والنزلات المعوية، وداء الكلب والطاعون، والجمرة الخبيثة، والسالمونيلا، والبروسيلا وقد أصيب به الآلاف من الكويت في منتصف الثمانينات.

كما أن لهذه المهنة أهمية قصوى في زيادة الانتاج الحيواني وتوفير الأمن الغذائي، فضلًا عن إدرار العملة الصعبة، خصوصًا في مجتمع يمتلك مقومات إيجاد ثروة حيوانية حقيقية كاليمن() .

أمَّا عامل النظافة: فيكفي أن نعرف أهمية النظافة بشكل عام من كون الأمر بها تقدم على الأمر بالصلاة والصيام وسائر الأحكام، فقد كان من أوائل ما أنزل على الرسول –صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١) قُمْ فَأَنْذِرْ(٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥) ﴾ [المدثر] () .

وعليه فيمكن القول بأن النظافة من الأمور الشرعية المأمور بها في الدين، وأنَّ عامل النظافة لا يقل أهمية عن باقي أصحاب المهن الأخرى، وأنَّ دوره هام وفعَّال جدًا في رقي المجتمع وبروز وجهه الحضاري، وأنه إذا تخلى عن مهنته فسدت البيئة وصارت المنطقة موبوءة، فكثير من الأمراض التي يتم إصابة الإنسان بها كالحمى بأنواعها، والملاريا، والبلهارسيا، وغيرها يتولى الذباب والبعوض خدمة التوصيل المجاني لها من القمائم المتكدسة إلى الإنسان، ولك أن تتخيل لو تركت مدينة من المدن لمدة أسبوع فقط من دون تنظيف كيف ستصبح شوارعها! وماهي الأوبئة والفيروسات التي يمكن أن تولدها تلك القمائم المتكدسة فيها، فأي مجتمع يتخلى عن النظافة فإنه يكون بينه وبين الحضارة كما بين الثرى والثريا.

أمَّا دباغة الجلود والاستفادة منها فهي مما أرشد إليها القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ [النحل: ٨٠] وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ، فَقَالَ: « هَلَّا اسْتَمْتَعْتُمْ بِإِهَابِهَا؟»، قَالُوا: إِنَّهَا مَيِّتَةٌ، قَالَ: «إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا»() . وفي لفظ أَنَّ شَاةً لِمَوْلَاةٍ مَيْمُونَةَ مَرَّ بِهَا [يَعْنِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -] قَدْ أُعْطِيَتْهَا مِنْ الصَّدَقَةِ، مَيْتَةً، فَقَالَ: «هَلَّا أَخَذُوا إِهَابَهَا فَدَبَغُوهُ فَانْتَفَعُوا بِهِ؟! « فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا مَيْتَةٌ! قَالَ: «إِنَّمَا حُرِّمَ أَكْلُهَا»().

وتعد جلود الحيوانات ثروة وطنية وقومية كبيرة إذا ما أحسن استغلالها، كواحدة من أهم الصناعات التي تدر دخلًا كبيرًا على الدول وتستوعب عددًا كبيرًا من العمالة، حيث تعتبر من المشاريع المربحة ذات التكلفة اليسيرة؛ نظرًا لتوفر المادة الخام بكثرة، ويمكن أن يقوم بها بعض الحرفيين في معامل بسيطة لا تحتاج إلى مكائن عملاقة كما هو الحال بالنسبة لكثير من الصناعات الأخرى.

ولأهمية هذه المهنة يكفي أن نعرف بأنها تدخل في صناعة العديد من المقتنيات الضرورية التي يحتاجه الإنسان كالأحذية، والأحزمة، والقفازات، والقبعات، والقمصان، والبنطلونات، وحقائب اليد، وكذا الجسم الخارجي لكرات اليد والسلة، وغيرها حيث تتميز الجلود المدبوغة بمرونتها ودرجة تحملها الكبيرة() .

- **أمَّا الحلاقة:** فهي مهنة مهمة جدًا في أي مجتمع من المجتمعات حيث لا يستغني عنها أحد، وهي مهنة قديمة يرجعها بعضهم إلى العصر البرنزوي، وقد أشار إليها القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] وهي مهنة تدر على من يعمل بها أرباحًا طائلة، وتتطلب مهارة وفن وذوق وأخلاق راقية، وقد ذاع صيت عدد كبير من الحلاقين لدرجة أن بعضهم أصبح حلاق بدرجة (رجل مهم) وصارت الحلاقة لديه تتطلب تحديد موعد مسبق() .
- **وأمَّا الجزارة** فتعتبر من المهن المهمة أيضًا في المجتمع حيث لا يمكن للإنسان أن تتحقق له نعمة التسخير الكامل من الحيوان إلَّا عبرها قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ(٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ(٧٢) ﴾ [يس: ٧١ – ٧٢] وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المهنة تصريحًا وتلميحًا في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً.....إلى قوله: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧ – ٧١] ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وهي مهنة مربحةُ وذات دخل وفير، كما أنها تساهم في تخفيف البطالة عن أفراد المجتمع، إذ أن فتح محل ما بين متوسط إلى راقي يتطلب العديد من العمال ذو التخصصات المختلفة، فهو بحاجة إلى محاسب يمكن أن يكون خريج قسم المحاسبة يقوم بتدوين كل ما يخص بيع وشراء الماشية، وبحاجة إلى عاملَين فأكثر من ذوي الخبرة للمساعدة في كل مراحل الذبح، وكذا البيع للزبائن، وحسن انتقاء وشراء الماشية الجيدة. كما يحتاج محامي يقوم بعمل عقود شراء المواشي من أصحاب المزارع وفق مواصفات خاصة يحددها القانون. وهو بحاجة أيضًا إلى طبيب بيطري يقوم بالكشف عن المواشي للتأكد من صحتها وسلامتها وخلوها من الأمراض(). لهذه الأمور وغيرها تعد هذه المهنة مهمة جدًا ولا يمكن لأي مجتمع أن يستغني عنها.
- **وأمَّا الخرازة** فهي من المهن القديمة أيضًا ويسمى صاحبها بالإسكافي، وهي من المهن المهمة خصوصًا في البدان النامية – كاليمن- حيث تعمل نسبة كبيرة من المهمشين في اليمن بالخرازة().

ويمكن زيادة بيان أهمية هذه المهنة من خلال النقاط التالية:

١ -أنها مهنة صديقة للبيئة؛ لأن الإسكافي يصلح الأحذية بدلًا من امتلاء مكبات النفايات بالأحذية التالفة خصوصًا الغير قابلة للتحلل والتي قد تؤثر سلبًا على البيئة.

٢ -إطالة عمر الأحذية وبالذات غالية الثمن، والاستفادة منها لفترة زمنية أطول.

٣ -كسب المال بطريق مشروع، حيث يقوم الاسكافي بالعديد من المهام ذات الصلة كإصلاح السحابات والأحزمة والأمتعة والقفازات وحقائب اليد وغيرها من المنتجات الجلدية، ويقوم بعضهم ببيع بعض إكسسوارات الأحذية مثل الأربطة ومواد التلميع والنعال الخاصة بتقويم العظام وغيرها من الأعمال التي تكسبهم مزيدًا من المال بطرق مشروعة() وعلى الرغم من هذه الخدمات الجليلة التي يقدموها أصحاب هذه المهن للمجتمع إلَّا أن نظرة المجتمع نحوهم دون المستوى المطلوب وهو ما سيتم بيانه في المبحث التالي.

المبحث الثاني

النظرة العامة للعاملين في المهن المنبوذة في العرف الاجتماعي اليمني، وبيان أسباب تلك النظرة الدونية للعاملين فيها، وفيه مطالبان

ينظر الغالبية العظمى من أبناء المجتمع اليمني للمهن المنبوذة بأنها المهن التي تنطوي على عمل يأنف الشخص القيام به باعتباره عملًا يتصادم مع العرف القبلي ويحط من مكانة الأسرة والقبيلة ككل بين سائر القبائل، لذا فإن أصحاب هذه المهن لم ينالوا حقهم من النظرة الكريمة التي تليق بهم وبالدور الذي يقدمونه، وهذا ما سيتم بيانه في هذا المبحث، ومعرفة الأسباب التي أدت لذلك. وفق المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: النظرة العامة للعاملين في المهن المنبوذة في العرف الاجتماعي اليمني

لو بدأنا بالحديث عن مهنة الطب البيطري في اليمن لأفزعتنا نتيجة الاستبيان التي قام بها الباحث في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث وجه العديد من الأسئلة لعينة الدراسة() منها: هل ترغب أن تكون طبيب بيطري ؟ وقد كانت الإجابة على هذا السؤال صادمة حيث كانت نسبة الرفض ١٠٠٪ . وفي السؤال عن نظرة المجتمع اليمني لمهنة الطب البيطري هل ينظر المجتمع إليها على أنها مهنة راقية، أو مهنة مهمة، أو مهنة عادية، أو مهنة مبتذلة ، أو مهنة مهملة، فقد أجاب قرابة ٤٨٪ على أنها مهنة عادية. و٣٢٪ على أنها مهنة مهملة. و١٣٪ على أنها مهنة مبتذلة. و٧٪ على أنها مهنة مهمة . وصفر٪ على أنها مهنة راقية. إذًا فـ:٨٠٪ بين من ينظر إليها على أنها مهنة عادية أو مهملة ، ولم يجب أحد بأنها راقية. و٧٪ فقط هم من اعتبروها مهنة مهمة. ومع ان هؤلاء الـ٧٪ اعتبروها مهنة مهمة إلَّا أنه لم يوافق واحدًا منهم أن يتخصص فيها. وهذه النظرة لم تأت من فراغ فاليمن تكاد تخلو من وجود عيادة بيطرية متخصصة، حسب ما أفاده الدكتور ماجد أحمد الجرادي(). وحول سؤالهم عن نظرة المجتمع اليمني للطبيب البيطري هل هو شخص مهم، أو شخص عادي، أو شخص غير مهم؟ أجاب قرابة١٤٪ أنه شخص مهم، و٥٥٪ أنه شخص عادي، و٣١٪ أنه شخص غير مهم. وعند سؤالهم عن ماذا لو خطب فتاة وتبين له بعد الخطوبة أنها تعمل كطبيبة بيطرية هل يواصل الزواج بها أم لا؟ أجاب قرابة ٨٥٪ لا. في حين أجاب ١٥٪ نعم أواصل الزواج بها، وأضاف بعضهم لكنني أحاول إقناعها بترك العمل.

هذه النتيجة تدق ناقوس الخطر لإعادة النظرة المجتمعية حول هذه المهنة، وهذه مهمة المراكز البحثية، والثقافية، والإعلامية.

وللعلم فإن أصحاب مهنة الطب البيطري هم أحسن حالًا من غيرهم من اصحاب المهن المنبوذة، إذ أن النظرة المجتمعية نحوهم لا تتعدى المهنة إليهم، بمعنى أن المجتمع اليمني يعزف عن مزاولة المهنة دون أن يحتقر من يمارسها، وهذا العزوف يمكن أن يكون للأسباب الآتية:

١ - عدم وجود درجات وظيفية تفي بالغرض لمهنة مهمة كالطب البيطري، حيث تنزل الخدمة المدينة درجة واحدة لكل محافظة في السنة، وهذا في الوضع الطبيعي قبل الحرب فكيف سيكون الحال الآن.

٢ - عدم وجود تغطية إعلامية وتوعوية كافية تبين الدور المنشود الذي يقوم به الطبيب البيطري() .

وأمَّا عمال النظافة فالغالبية العظمى منهم في اليمن هم من الطبقة المهمشة المعروفة اجتماعيًا بـ:(الأخدام) والتي يصل عدد أفرادها إلى قرابة ٤مليون نسمة، أي ما يعادل ١٠٪ من تعداد السكان. يعيشون في حياة بائسة، ومساكنهم غالبًا من الصفيح وإطار السيارات، ورواتبهم متدنية جدًا لا تكفي لسد حاجتهم اليومية() . وينظر إليهم المجتمع باحتقار وازدراء، وهذا ما أكده عبدالكريم قائد –أحد عمال النظافة- حيث ذكر أن المجتمع يمارس الوصمة والنظرة الدونية تجاه عمال النظافة() .

وحينما قام الباحث بسؤال بعض من عمال النظافة المتواجدين داخل مدينة تعز وبالتحديد في منطقة بير باشا، وباب موسى، وشارع جمال، لم تختلف إجابتهم عمَّا أفاده عبدالكريم قائد بل كانت كلها تؤكد أنهم يعاملون بعنصرية ونظرة دونية، وسوء تعامل معهم.

وعند سؤالهم عن مدى رضاهم عن مزاولة العمل أجاب ١٠٪ منهم بأنهم غير راضين عن العمل لكن أجبرتهم ظروف المعيشة. في حين أجاب ٩٠٪ منهم بأنهم راضون عن العمل غير أن ما يؤلمهم ويضيق عليهم أمران:

الأول: احتقار المجتمع لهم لدرجة أن البعض يأنف أن يركب حافلة إذا كان بجواره عامل نظافة، حسب ما أفاده بعضهم أنه حصل معه شخصيًا عدة مرات، بل ويرفضون تزويج من يعمل بالنظافة ولو كان من غير طبقة المهمشين، وينظرون إليهم باحتقار، وهذا ما أوردته صحيفة الشروق عن إحدى الفتيات التي رفضت ذكر اسمها أنها احبت شاب يعمل في النظافة لكنه صاحب خلق ودين، وتزوجت به بعد محاولات عديدة لإقناع أهلها، ثم تقول: يعاملونا باحتقار، ولا يحبون أن نزورهم بل يتركونا ساعات طويلة في صالة الانتظار بدون أي استقبال، الأمر الذي جعلها تشعر بعد كل زيارة بألم وحزن شديد كونها تعامل بخلاف ما يعامل به أخواتها وأزواجهن، لدرجة انها تفكر بمنع الزيارة مطلقًا لولا أنها تعلم بإثم قطع الرحم() .

الثاني: تدني رواتبهم حيث يشعرون بأنهم الطبقة التي تعمل أكثر مما تأخذ، وأجاب أغلبهم اضطر للعمل بمهن حرة أخرى كخياطة الأحذية، في حين أجاب بعضهم أضطر للتسول مع أفراد أسرتي لتغطية احتياجاتي اليومية.

هذه النظرة المجتمعية في اليمن لهذه الطبقة التي تقوم بأهم المهن في إبراز الوجه الجمالي والحضاري للمجتمع تفسر ولو جزءً بسيطًا من سبب تكدس القمائم في الشوارع وأمام المحلات، في حين لو نظرنا إلى بلد آخر كاليابان مثلًا لو جدنا أن عامل النظافة يحظى باحترام شديد وأهمية قصوى، حتى انهم يطلقون عليهم مهندسوا الصحة والنظافة، كونهم ينظرون إليهم باعتبارهم أشخاصًا مسؤولون عن صحة المدينة، ورواتبهم ما بين ٧٥ ألفًا و١٠٠ ألف دولار في السنة، أي حوالي ٨٠٠٠ ألف دولار شهريًا() .

وحتى لا يتشعب الكلام فإن النظرة المجتمعية لأصحاب هذه المهن في المجتمع اليمني هي نظرة احتقار وازدراء لدرجة أنه يمكن القول بأن هذه النظرة هي محل إجماع قبلي وإرث ثقافي، فكل من يمتهن هذه المهن في نظر العرف المجتمعي اليمني ناقصين وليسوا من ذوي المكانة المرموقة.

وقد أورد الكاتب رشيد سيف في صحيفة الأيام مقالًا يبين هذه النظرة المجتمعية تجاه أصحاب هذه المهن، والمكانة الاجتماعية لهم، وابتدأه بعبارات متداولة في الشارع اليمني نحو: أنت جزار ما معك عقل، قيمتك ألف ريال! روح اختن جاهل يا مزين! – ومثلها يا دباغ شمك زهم خليك بعيد عنا! أصلك مكرث! وغيرها من عبارات التهكم والسخرية التي تدور على ألسنة الغالبية العظمى من أبناء المجتمع اليمني() .

هذه النظرة الدونية لأصحاب هذه المهن جعلتهم أحيانًا يتجمعون في حارات سكنية خاصة بهم كالجزارين مثلًا، ففي صنعاء يقطنون في حي مُسَيْك، وفي إب وسط اليمن يقطنون في منطقة الراجزة ويطلق على حارتهم « حارة الجزارين» . وحتى مع وفرة المال الذي يمتلكونهم إلَّا أنهم يشعرون بالتعاسة أحيانًا بسبب النظرة السيئة نحوهم، يقول: طلال (٦٠ عامًا) – وهو من أشهر الجزارين في مدينة إب، وله بيت كبير ذو شقق متعددة ولكن رفضت كثير من الأسر تستأجر منزله لأنه جزار- لا ينقصني شيئًا من المال، لكنني أشعر بالتعاسة أحيانًا بسبب نظرة الناس ، ونعتي بالجزار وقليل الأصل() .

وهذه النظرة العنصرية نحو أصحاب هذه المهن سببت تسرب كثير من أبناء أصحاب هذه المهن من قطاع التعليم، بسبب مضايقة زملاؤهم لهم في المدرسة، فذهبوا لمزاولة لهذه المهن منذ سن مبكرة.

المطلب الثاني: أسباب النظرة الدونية للعاملين في المهن المنبوذة

هناك العديد من الأسباب والمسببات التي تتداخل مع بعضها البعض وتؤدي في النهاية إلى احتقار هذه المهن والعاملين فيها، وتقسيم الناس إلى طبقتين –شريف ووضيع- وداخل كل طبقة تقسيمات أخرى، وعرض معظم المهن على سلسلة النسب لبيان ما يمكن قبوله أو نبذه، ومن ثم النظرة إلى العاملين فيها بشيء من الدونية والازدراء والاحتقار، ويمكن بيان هذه الأسباب في النقاط التالية:

١ -سوء فهم النصوص الشرعية وغلبة التفسير المستمد من الثقافة السائدة على التفسير المستمد من روح النص الشرعي.

هناك العديد من النصوص الشرعية التي تؤكد على وحدة الجنس البشري وكرامته، وأن التفاضل بينهم يكتسب بالأعمال لا عبر الجينات الوراثية() . وهناك بعض النصوص الشرعية التي تم تفسيرها بطريقة تؤدي إلى احتقار بعض المهن ومن يعملون فيها، واعتبار الشرف والكرامة تورث وراثة ولا تكتسب، ومن ذلك ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن معنى «الأرذلون» المذكور في قوله تعالى –في قصة نوح-: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١]، هم دون ذوي الشرف وأهل البيوتات(). وقيل: الأرذلون من القوم أصحاب الصناعات الخسيسة، كالحياكة() . وقد ذكر السمعاني أن الأرذلون هم السفلة، وأن السفلة هم أصحاب الصناعات الدنية مثل: الكناسين، والدباغين، والسماكين، والحجامين، والحاكة، وغيرهم. ثم يورد قصة فيقول: «وروي أن بعض العلماء ببغداد سُئل عن امرأة قالت لزوجها: يا سفلة، فقال: إن كنتُ سفلة فأنت طالق، فقال له ذلك العالم: ما صناعتك؟ فقال: سماك، فقال: سفلة والله سفلة»() .

فهذه التفسيرات لمعنى الأرذلون توحي بأنها نابعة من ثقافة مجتمعية لدلالة هذا اللفظ، فليس هناك نص يقول بأن معنى الأرذلون ما ذهبوا إليه من جعله وصمًا لأصحاب هذه المهن، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية لنا أن نتساءل فنقول: هل كان في زمن نوح –عليه السلام- من يقوم بتكنيس الشوارع –مثلًا- وخياطة الأحذية، ونحوها؟ نحن نستبعد ذلك حقيقةً وعلى من يقول بأن قوم نوح قصدوا بالأرذلون من يمتهنون هذه المهن أن يثبت ذلك! ثم ألا يمكن حمل معنى الأرذلون على ضعفة الناس ومن ليس لهم رأي أو مشوره والفقراء، وإذا أمكن ذلك فما الذي جعل الأرذلون خاصًا بأصحاب تلك المهن؟ إنه تأثير الثقافة المجتمعية على تفسير النص الشرعي.

ونفس هذا المعنى نجد تفسير الإمام الشوكاني لمعنى الخِيار في حديث «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا»() . حيث يقول: «ففيه إثبات الخيار في الجاهلية ولا تقوى هناك، وجعلهم الخيار في الإسلام بشرط الفقه في الدين، وليس مجرد الفقه في الدين سببًا لكونهم خيارًا في الإسلام وإلا لما كان لاعتبار كونهم خيارًا في الجاهلية معنى، ولكان كل فقيه في الدين من الخيار وإن لم يكن من الخيار في الجاهلية، وليس أيضًا سبب كونهم خيار في الإسلام مجرد التقوى وإلا لما كان لذكر كونهم خيارًا في الجاهلية معنى، ولكان كل متق من الخيار من غير نظر إلى كونه من خيار الجاهلية، فلا شك أن هذا الحديث يدل على أن لشرافة الأنساب وكرم النجار مدخلًا في كون أهلها خيارًا»() . ويقول الإمام النووي() «وإذا كانت الأصول شريفة كانت الفروع كذلك، والفضيلة في الإسلام بالتقوى لكن إذا انضم إليها شرف النسب ازدادت فضلًا».

وهكذا نجد أن النسب حاضرًا بقوة في كلامهم وتأثيره في الفضيلة بل والتقوى، فخلاصة كلام الشوكاني أن التقوى وحدها لا تجعل الشخص من الخيار بل لابد أن ينظم إليها شرف النسب. وتفسير الإمام الشوكاني للحديث بهذا المعنى دلالة واضحة على مدى تأثير الثقافة المجتمعية على تفسير النصوص الشرعية، خصوصًا إذا عرفنا أن الإمام الشوكاني من اليمن وممن عاش في صنعاء وما جاورها ذات الصبغة القبلية الغالبة.

وقد رد بعض الفقهاء شهادة من يمتهن هذه الحرف لا لشيء إلَّا لأنه اعتبر هذه الحرف من خوارم المروءة، يقول يحي بن أبي الخير اليمني:() " وأما أصحاب الحرف الدنيئة مثل: الحجام والكناس والدباغ والقيم بالحمام.. فهل تقبل شهادتهم؟ ينظر فيهم.... وإن حسنت طريقتهم في الدين.. فهل ترد شهادتهم لأجل حرفهم؟ فيه وجهان: أحدهما: ترد شهادتهم؛ لأن من رضي لنفسه بمثل هذه الحرف الدنيئة.. سقطت مروءته، ومن لا مروءة له.. لا تقبل شهادته.

وهناك من عد أصحاب هذه المهن لا يكافئون الأشراف حسب وصفه، يقول البكري:() « فأصحاب الحرف الدنيئة ليسوا بأكفاء للأشراف ولا لسائر المحترفة: فالكناس، والحجام، والفصاد، والختان، والقمام، وقيم الحمام، والحائك، والحارس، والراعي، والبقار، والزبال، والنخال، والإسكاف، والدباغ، والقصاب، والجزار، والسلاخ، والحمال، والجمال، والحلاق، والملاح، والمراق، والهراس، والفوال، والكروشي، والحمامي، والحداد، والصواغ، والصباغ، والدهان، والدباس، ونحوهم لا يكافئون ابنة الخياط والخباز والزراع والفخار والنجار ونحوهم.

وقد جعل صاحب كتاب عمدة القارئ إجابة الرسول –صلى الله عليه وسلم- للخياط الذي دعاه إلى طعام صنعه له دليلًا على جَوَاز أكل الشريف طَعَام الْخياط والصائغ وإجابته إِلَى دَعوته() . وفي هذا إيماء إلى احتقارهم واحتقار مهنتهم.

فهل ما ذهب إليه هؤلاء الفقهاء ونحوهم يتوافق مع روح النص الشرعي؟ أم أنها الثقافة المجتمعية انعكست على تفسير النص الشرعي! ثم ماذا أبقوا من الحرف الضرورية لأي مجتمع سكاني لا يمكن أن يستقيم إلَّا بها؟ كما نلاحظ أنهم اعتبروا مهنة الرعي من المهن الدنيئة أيضًا –حسب وصفهم- وهي المهنة التي امتهنها الأنبياء –عليهم السلام- وعلى رأسهم نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم- وهو سيد ولد آدم.

وعليه فتعتبر هذه التفسيرات ونحوها مما ساهم في صبغ النظرة الشرعية لاحتقار هذه المهن والقائمين عليها، وهي نظرة غير صائبة وإنما نابعة من ثقافة قبلية انعكست على تفسير النص الشرعي.

٢ -**الموروث الجاهلي في التفاخر بالأنساب والنظرة الدونية لكثير من اصحاب الحرف اليدوية.**

حيث أنه من أهم مظاهر الحياة الجاهلية التفاخر بالأشياء الخارجة عن الإنسان والتمدح بالخصال. وتكون المفاخر بالآباء والأجداد، وبالسيادة والشرف، وبالكثرة، وبالحسب والنسب، حتى إنهم انطلقوا في بعض الأوقات إلى القبور فكانوا يشيرون إلى القبر بعد القبر، ويقولون: فيكم مثل فلان ومثل فلان؟!!() وإلى هذا جاءت الإشارة في قوله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ – ٢] وقد روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: لما كان يوم فتح مكة أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بلالًا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنًا() .

وهذا الأثر يبين لنا أن التميز القائم على الجنس أو اللون كان موجودًا بينهم، ومثله التميز بحسب المهن والحرف فقد كانت المهن المتداولة بين الجاهليين كثيرة كالنجارة والحدادة والحياكة والنساجة والخياطة والصياغة والدباغة والبناء ونحوها من حرف يحترفها الحضر في الغالب، أما الأعراب فقد كانوا يأنفون من الاشتغال بها، وينظرون إلى المشتغلين بها نظرة احتقار وازدراء؛ لأنها في عرفهم حرف وضيعة، خُلقت للعبد والرقيق والمولى ولا تليق بالحر، - وبقت هذه النظرة حتى عند المتأخرين كالأصبهاني حيث أورد في سياق حديثه عن أوضاع أصبهان ما مضمونه أن الخليفة أبي جعفر المنصور أورد عاملًا مع خال المهدي سعيد بن منصور الحميري، فكان من جملة ما عمله أن خط سوقًا للباعة والتجار، ثم يقول: فأقبل اليهود على صناعتهم القذرة كَالْحِجَامَةِ، وَالدِّبَاغَةِ، وَالْقِصَارَةِ، وَالْقِصَابَةِ-() . هكذا بقت هذه النظرة المستعلية باعتبار هذه المهن لا تليق إلا بالعبد والمولى واليهود، وبلغ الحال بالأعراب أن الشريف منهم وذا الجاه، كان لا يحضر وليمة يدعوه إليها شخص من أصحاب هذه الحرف، استنكافًا وازدراءً؛ لأنه ليس في منزلته ومكانته. وقد كان عمل الرسول-صلى الله عليه وسلم- كبيرًا في نظر رؤساء القوم يومئذ، حينما جوَّز حضور طعام الخياط والصائغ وأمثالهما، وكان يحضر منازلهم، فعد القوم ذلك عملًا غير مألوف ومخالفًا للعرف والتقاليد() .

وقد كان أكثر أهل القرى ينظرون إلى الحرف والحرفيين بها نظرة ازدراء كذلك، ويأنفون لذلك من التزاوج معهم، ويعيّرون من يتزوج من امرأة أبوها نجار أو دباغ أو خياط، ويلحق هذا التعيير الأبناء كذلك. وينظرون هذه النظرة إلى المشتغلين بزراعة الخضر مثل البقول في الغالب، ولا تزال هذه النظرة – الجاهلية-معروفة في جزيرة العرب إلى اليوم مع اختلاف في النظرة بين مهنة وأخرى من مكان لآخر() .

وقد كان في نظرهم أن الأحرار مهما بلغ حالهم من الفقر والفاقة كانوا يأنفون من الأعمال الحرفية ونحوها ..لأنها في نظرهم من المهن المنحطة التي لا تليق بالرجل الحر مهما كان عليه من فقر وبؤس، ولهذا كان لا بد من الاستعانة بالموالي والرقيق للقيام بأكثر متطلبات حياة الإنسان() .

وقد كان لهذا الموروث الجاهلي أثر كبير في احتقار بعض المهن لدى المجتمع اليمني كونهم من العرب الأقحاح، حيث لا تزال هذه النظرة إلى اليوم.

٣ -**الحكايات الشعبية المتداولة.**

تساهم الحكايات الشعبية في تعزيز الثقافة المجتمعية سلبًا أو إيجابًا نحو موضوع ما، وغالبًا ما تكون الحكايات ليس لها أصل أو أساس من الصحة وإنما يبتكرها بعض الوضاعين أو الأدباء أو المتفلسفة للتعبير عن شيء ما، ومن أكثر الحكايات التي يكثر تداولها في المجتمع اليمني على أنها حديث شريف هي «العرق دساس» وهي جزء من حديث أورده البيهقي()، وقد حكم عليه الألباني بأنه ضعيف جدًا أو موضوع(). وهو يعني أن الشرف والفضيلة يتم توارثها توارثًا وليس اكتسابًا، ويتضمن هذا انتقاصًا لكثير ممن ينظر إليهم بنظرة دونية، وتعمل هذه الرواية أو الحكاية على تأصيل تلك النظرة من منظور شرعي.

وفي هذا الصدد تتردد أيضًا حكاية لأحد الملوك القدامى في اليمن الذي أجرى سباقًا بين دوشان (مداح القبيلة) ومكرث وجزار أن من يُقَبِّل زوجته في السوق أمام العامة يأخذ مبلغًا من المال. فتقول الحكاية أن المكرث قام بتقبيل زوجته أمام العامة، أمَّا الدوشان فذهب أبعد من ذلك حيث جامع زوجته في السوق رغبة في الحصول على الجائزة، بينما رفض الجزار فعل أي شيء().

والملاحظ على هذه الحاكية أمور منها:

أ/ عدم صحتها لاشتمالها على أفعال مشينة يأنفها المجتمع اليمني ولا يقبل إطلاقًا أن تمارس بطريقة علنية، فضلًا عن أن يكون الآمر بها هو الملك أو الحاكم للمنطقة.

ب/ دور الحكاية الشعبية في تشويه شريحة من الشرائح المجتمعية أو مهنة من المهن، وتداولها رغم اقتناع الأكثر بعدم صحتها.

ج/ تصوير هذه الشرائح المجتمعية ومن يمتهن مهنهم بأنهم عديمي الأخلاق والغيرة، وأنهم لا يأنفون من الأفعال المشينة ولو كانت أمام العامة.

د/ هذه الحكاية لم تأت اعتباطًا بل هي تجسيد للنظرة المجتمعية لمثل هذه الشرائح، بسبب الانفتاح الموجود لديهم وإن كان لا يرقى إلى ما تصوره الحكاية.

وبغض النظر عن كل ما يقال فالحكاية الشعبية أحد الأسباب التي تعمق النظرة الدونية تجاه هذه المهن ومن يمارسها خصوصًا حينما يتم صبغها بصبغة شرعية كالأثر الذي تم إيراده سابقًا.

٤ -**عدم اهتمام وزارة التربية والتعليم بمعالجة هذه النظرة الدونية تجاه أصحاب هذه المهن ضمن مقررات المنهج الدراسي.**

وإن وجد شيئًا من ذلك فهو إشارات بسيطة لا تفي بالغرض، ولا توازي حجم المشكلة. وقد قام الباحث بإلقاء نظرة على مناهج التربية الإسلامية واللغة العربية من الصف الرابع الابتدائي وحتى الثالث الثانوي ولم يقف على ما يمكن تسميته بأنه يقدم علاج لهذه المشكلة، ما عدى موضوع واحد في مقرر الحديث للصف الثالث الثانوي وهو الدرس التاسع والذي يحمل عنوان « المساواة بين الناس»() ورغم سعة العنوان وأهميته فقد قصر الحديث فيه على حديث المخزومية التي سرقت، حيث جعل المساواة هي في إقامة الحدود، وهي وإن كانت كذلك إلَّا أنه كان ممكن أن يتطرق إلى إزالة الفوارق الطبقية التي تفرضها الثقافات المجتمعية - خصوصًا في الواقع اليمني- تجاه بعض المهن، مبينًا أن الأصل في الناس هو التساوي في الخلق والصورة والتكريم وما ينتج عنها من الحقوق والواجبات.

٥ -الاستسلام للواقع والشعور بالدونية من قبل أصحاب هذه المهن واعتبار مكانتهم الاجتماعية قدر لازب لا يمكن تغيرها.

حيث يوضح عالم النفس «أدلر:" بأن الشعور بالنقص هو شعور يحدو بالمرء إلى الإحساس بأن الناس جميعًا أفضل منه في شيء أو آخر() . وهذا الشعور يكاد يكون موجود بنسبة عالية لدى المشتغلين بهذه المهن وبالذات في المجتمع اليمني ذو النظرة القبلية التي يعتبرها البعض أعظم وسام أو مؤهل يفتخر به.

يقول عبد الرحمن قاسم وهو ناشط يمني: يحتقر الأسياد ورجال القبائل وموظفو الدولة من أطلقوا عليهم «المزاينة" في حكم الأئمة وحتى اليوم، ثم يواصل حديثه فيقول: يحافظ المجتمع على قيمه وأخلاقه وسلوكياته من خلال وصم من يخالف ذلك بالـ "المزين" أو "الناقص" أو " قليل الأصل" فتنسب هذه الأعمال المشينة إلى هذه الطبقات وإن لم يكونوا هم مرتكبوها() .

وبسبب هذه النظرة العنصرية، والضغط المجتمعي، والقطيعة من التناسب والمصاهرة بينهم وبين غيرهم، فقد جعلت الكثير من الممتهنين لهذه الحرف يستسلم للواقع فلا يبالي بصدور بعض الأعمال المخلة، وهذا يعني قتل الروح المعنوية لدى أبناء هذه الشرائح من إمكانية تبوؤهم مكانة مرموقة في المجتمع.

المبحث الثالث

المنظور الإسلامي لأصحاب المهن والأعمال الحرة

الإسلام يحث على العمل، ويشجع عليه، وينهي عن البطالة والتسول، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، يقول الإمام الرازي(): "فثبت أن هذه اللفظة الواحدة – يعني بها: اعملوا- جامعة لجميع ما يحتاج المرء إليه في دينه ودنياه ومعاشه ومعاده".

وأخرج الإمام البخاري عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»() .

وهذان النصان كنموذج من ضمن عشرات النصوص التي تبين لنا مدى أهمية العمل في الإسلام وهو ما سيتم بيانه في هذا المبحث عبر المطالب التالية.

المطلب الأول: مكانة العمل في المنظور الإسلامي

اعتبر الإسلام العمل من لب العبادة لله تعالى، ولذلك لا يكاد يرد مصطلح الإيمان بالله إلّا ويتبعه العمل الصالح، وهو مصطلح يشمل كل ما يصلح الحياة الدنيا والآخرة من أعمال قلبية وسلوكية ومهنية وحرفية. ولذا فإن الإسلام يعتبر العطالة والبطالة معصية يلام عليها صاحبها، إذ يفترض أن كل مسلم على ثغرة من ثغور بناء مجتمع حضاري يحقق مهمة الاستخلاف في الأرض بما يقدمه من الأعمال الانتاجية أو الخدمية، ولذا يقول الرسول-صلى الله عليه وسلم- «إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرَى الرَّجُلَ فَارِغًا، لَا فِي عَمَلِ الدُّنْيَا، وَلَا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ» وفي لفظ :«لأمقت »() .

وقد اقتضت حكمة الله أن يودع في فطرة خلقه ميولات ورغبات متعددة، بحيث يوجد في كل مجتمع من يميل نحو الطب، والهندسة، والاقتصاد، والزراعة، والصناعة، والمهن الحرفية، واليدوية وغيرها، وكل على ثغرة من ثغرات المجتمع لا يستغنى عنها ، وهم جميعًا ينطلقون من قول الرسول –صلى الله عليه وسلم-: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»() ويقول الرسول –صلى الله عليه وسلم-:«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»()

وعليه فالإسلام لم ينظر لأي مهنة بعين الاحتقار والازدراء وإنما اعتبر معيار الاحترام أو الاحتقار هو نوعية العمل من كونه حلالًا أو حرامًا، فالكسب الحلال هو أطيب ما يؤكله المسلم، وخصوصًا إذا كان من عمل يده. يقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ»() . والكسب الحرام هو ما يحتقره الإسلام ويحتقر فاعله ولو كان يدعي الشرف والسيادة،

كمن يمتهن بيع المسكرات بأنواعها، أو يعمل سمسارًا() ، أو يتعيش على الرشوة، والغش، أو يمتهن السرقة، أو يكون قاطعًا للطريق مؤذي لابن السبيل.

هذه الأعمال هي التي يحتقرها الإسلام ويحتقرها أصحابها لأنها تقوض بنيان المجتمعات، وتهدم صرح الحضارات، وما عدى ذلك من الكسب الحلال فالإسلام يشيد به، ويرفع من شأن صاحبه.

المطلب الثاني: تكريم الجنس البشري وإلغاء التمايز الطبقي وإرساء مبدأ المساواة

يقرر الإسلام تكريم الإنسان بغض النظر عن كل الاعتبارات العرضية التي تنشأ مع وجود الكائن البشري، كاللون، والجنس، واللغة، والعمل، والمعتقد، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وفي الصحيح أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- رأى جنازةً فوقف احترامًا لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي! فقال: «أليست نفسًا»() . وقد حارب الإسلام الطبقية مقررًا وحدة الجنس البشري، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وبيَّن أن هذه المسميات من الفخائذ والعشائر والقبائل هي لغرض التعارف والتآلف، وليس لغرض الاستعلاء والتفاخر قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]. ويقول الرسول –صلى الله عليه وسلم- «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، »()

واعتبر الإسلام أن معيار التفاضل عند الله هو التقوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وعن جابر رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فِي حجةَ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: « «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ »، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»() وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ , وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْعَافِيَةِ فَلَا تَصْحَبْ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ»() .

فهذه النصوص وغيرها تؤكد هذا المبدأ الإسلامي القائم على تكريم الإنسان، وإلغاء الطبقية النابعة من الاستعلاء والاستكبار، واعتبار التجمعات البشرية في الأسر والقبائل هدفها التعارف، فلا تمنح أحدًا حقًا بدون عمل، أو تلبسه وسام شرف بالوراثة، ولا تعفيه من واجب بدون جزاء، والعمل الوحيد الذي يستحق صاحبه الرفعة والتكريم عند الله هو التقوى، لا سلسلة النسب والتفاخر بالأجداد، والعاقل من يفتخر بعمله لا بنسبه كما قال الشاعر:

حَسْبِي فَخَارٌ وَشِيْمَتِي أَدَبِي..... وَلَسْتُ مِنْ هَاشِمٍ ولا العَرَبِ

إنَّ الفَتَى مَنْ يَقُول هَا أنا ذا..... لَيْسَ الفَتَى مَنْ يَقُولُ كان أَبِي()

المطلب الثالث: العلم هو من يصنع الرفعة والمجد وليست الأنساب والألقاب

لما تحدث الله تعالى عن الرفعة والمجد ربطهما بأمرين اثنين هما: الإيمان، -- وفيه تتحقق الرفعة في الدنيا والاخرة- والعلم، - وفيه تتحقق الرفعة للمؤمن في الدنيا والآخرة، وقد تتحقق الرفعة لغير المؤمن بالعلم في الدنيا دون الآخرة-. قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]. وعند إجالة النظر في كتب التراجم والسير تبين أن المهنة أو اللقب لم يكونا حائلًا أبدًا عن الرفعة وإنما من كان له باع في العلم صار علمًا يشار إليه بالبنان ويجلس إليه ويؤخذ عنه بغض النظر عن مهنته أو لقبه الذي اشتهر به، وسنورد العديد من الأمثلة والنماذج التي تؤكد ذلك ومنها:

أولًا: مهن الأنبياء

- زكريا -عليه السلام- كان نجارًا واشتهر بذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَّا

نَجَّارًا»() .

- داود –عليه السلام- كان صانعًا للدروع، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ﴾[الأنبياء: ٧٩ – ٨٠]. فهنا يخبر تعالى أنه علم داود صَنْعَةَ الدروع فكان يصنعها أحكم صنعة لتكون وقاية من الحرب وسبب نجاة من العدو، و «اللبوس» في اللغة السلاح فمنه الدرع والسيف والرمح وغير ذلك().

- سليمان –عليه السلام- تميز بالقدرة على تشكيل النحاس وصناعته فيما يستفاد منه، قال تعالى: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ: ١٢]

ثانيًا: مهن بعض أمهات المؤمنين

كانت بعض أمهات المؤمنين قد برعن في بعض المهن فقد اشتهرت خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها- بالتجارة، وبرعت بعض زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الحرف ومنها «دباغة الجلود وتصنيعها» وعلى رأس من برعن في ذلك « زينب بنت جحش» و»سودة بنت زمعة» حيث كانت بارعة في دباغة الجلود الطائفية-أي القادمة من الطائف- ومن الصحابيات كذلك « أسماء بنت عميس» زوجة جعفر بن أبي طالب(). ولو كانت هذه المهنة تستلزم التنقيص والاحتقار لكنَّ أرفع الناس عنها.

ثالثًا: أئمة أعلام كانوا يمارسون بعض هذه المهن التي تحتقر في المجتمع اليمني أو يوصفون بها ومنهم:

البيطار: فممن نسب إلى هذه المهنة وصار علمًا من الأعلام ابن البيطار، قال عنه الإمام الذهبي(): " العلامة، ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، النباتي، الطبيب، ابن البيطار، مصنف كتاب (الأدوية المفردة) ، وما صنف في معناه مثله. انتهت إليه معرفة الحشائش، وسافر إلى أقاصي بلاد الروم، وحرر شأن النبات، وكان أحد الأذكياء، وخدم الملك الكامل، وابنه الملك الصالح" . وقد كان يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش، وجعله مقدماً في أيامه حظياً عنده() .

الطبال: وممن ينسب إلى هذه الحرفة ثم صار من أعلام المحدثين، إسماعيل بن علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي الشيخ العالم المسند عماد الدين أبو الفضل الأزجي الحنبلي شيخ الحديث بالمستنصرية يعرف بابن الطبال نسبة إلى جده إسماعيل الطبال() .

الدباغ: وممن اشتهر بهذا الوصف ثم أخذ من العلم بحظٍ وافر، فصار يجلس إليه بالمحابر، ابن الدباغ، قال عنه الذهبي(): "الإمام، الحافظ، المجود، أبو القاسم خلف بن القاسم بن سهل الأندلسي، ابن الدباغ" .

وكذلك «الدباغ المالكي» علي بن محمد بن مسرور أبو الحسن الفقيه الدباغ المالكي القيرواني كان إمامًا عاقلًا كثير الحياء والورع والصيانة، توفي في حدود الستين والثلاث مائة() .

ويحكى في هذا أن إبراهيم بن رستم من أهل كرمان، نزل مرو في سكة الباغين، فخرج إِلَى مُحَمَّد بْن الْحَسَن وغيره من أهل الرأي، فكتب كتبهم وحفظ كلامهم فاختلف الناس إليه، وعرض عَلَيْهِ القضاء فلم يقبله، فدعاه المأمون فقربه منه وحدثه، وأتاه ذو الرياستين إِلَى منزله مسلمًا، فلم يتحرك له، ولا فرق أصحابه عنه فَقَالَ له إشكاب: - وكَانَ رجلا متكلما- عجبا لَكَ، يأتيك وزير الخليفة فلا تقوم له و تقوم من أجل هؤلاء الدباغين عندك؟! فَقَالَ رَجُل من أولئك المتفقهة: نحن من دباغي الدين الَّذِي رفع إِبْرَاهِيم بْن رستم حتى جاءه وزير الخليفة! فسكت إشكاب() .

الإسكافي: وهو: العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي ثم الإسكافي المتكلم، كان أعجوبة في الذكاء، وسعة المعرفة مع الدين والتصون والنزاهة. وكان في صباه خياطًا() . قال الصاحب ابن عباد: «فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة حايك وحلاج وإسكاف فالحايك أبو علي المرزوقي والحلاج أبو منصور ابن ماشدة والإسكاف أبو عبد الله الخطيب»() . وهو محمد بن عبد الله الخطيب ، عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافًا، وحبب إليه العلم، فأخذ عن مشيخة وقته في بلده، وصار من الأعلام المشهورين() .

الحذاء: (ابن الحذاء القرطبي) محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب التميمي أبو عبد الله ابن الحذاء القرطبي المالكي كان عارفًا بالحديث بارعًا في الأثر، صنف كتاب التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء وكتاب الإنباه والخطباء والخطب في مجلدين والبشرى في تأويل الرؤيا في عشرة أسفار، وولي قضاء بجاية، ثم قضاء إشبيلية، وعهد أن يدفن بين أكفانه كتابه المعروف بالإنباه على أسماء الله فنثر ورقه وجعل بين القميص والأكفان().

الحجام: شيخ المالكية بالقيروان، أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم مسرور التجيبي مولاهم، الإفريقي، عرف: بابن الحجام، إمام كبير شهير() .

الجزار: وممن عمل بالجزارة ثم صار أديبًا فاضلًا جمال الدين المصري فقد ترجم له ابن العماد بقوله() : «الجزّار الأديب، جمال الدّين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم المصري()، الأديب الفاضل. كان جزّارا، ثم استرزق بالمدح، وشاع شعره في البلاد، وتناقلته الرّواة. وكان كثير التّبذير، لا تكاد خلّته تنسدّ، وكان مسرفًا على نفسه.

ومن شعره:

عاقبتني بالصّد من غير جرم ... ومحا هجرها بقية رسمي

وشكوت الجوى إلى ريقها العذ ... ب فجارت ظلمًا بمنع لظلم

أنا حكّمتها فجارت وشرع ال ... حبّ يقضي أني أحكّم خصمي()

ويقول أيضًا:

لي من حرفة الجزارة والآ ... داب فقر يكاد ينسيني اسمي()

وأيضًا: عبد الله بن محمد الجزار، أبو الحسين: عالم بالعربية. من تلاميذ المبرد وثعلب. له مصنفات في « علوم القرآن « وكتاب « المختصر « في علم العربية، و « المقصور والممدود « و « المذكر والمؤنث « وغير ذلك، تـ:(٣٢٥هـ)() .

الحلاق: وممن كان يعمل حلاقًا ثم ذاع صيته وصار مؤرخًا أحمد بن بدير، شهاب الدين الحلاق البديري: مؤرخ شعبي دمشقي. من ناظمي الزجل، وفيه نزعة صوفية. صنف (حوادث دمشق اليومية) وكان يعيش من الحلاقة. كتب يومياته بما يقرب من العامية() .

البقال: وممن كان ينتمي إلى من يوصفون بهذا الوصف ثم صار علمًا من الأعلام يشار إليه، خديجة بنت موسى ابن عبد الله، الزاهدة، العابدة، البغدادية، وتُكنى أم سلمة، وتُعرف ببنت البقَّال، كانت تروي الحديث، وتعظ النساء، وكانت ورعة، روى عنها الخطيب وأثنى عليها، وكانت من الصالحات() .

وأيضًا: أبو غالب الباقلاني، قال عنه الذهبي() « الشيخ الصالح، المحدث، أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد بن الباقلاني، البقال، الفامي، البغدادي».

كل هذه النماذج ليست سوى أمثلة من عشرات الأمثلة في كل حرفة من الحرف التي يُنظر إليها وإلى من يمارسونها غالبًا بعين الاحتقار خصوصًا في المجتمع اليمني، وقد جعل منهم الإسلام أعلامًا، وصنع منهم العلم نجومًا، ولم تكن المهنة قط حائلًا بينهم وبين المجد والرفعة، بل كان بعضهم على ما هو فيه من الرفعة يمارس مهنته بمنتهى الاعتزاز، ويلقب بها ولا يجد في نفسه أدنى غضاضة.

المبحث الرابع

الآثار المترتبة على ازدراء هذه المهن والعاملين فيها، وبيان طرق ووسائل علاج العرف الاجتماعي إزاء تلك المهن

كل مشكلة تنشأ في أي مجتمع من المجتمعات تعقبها العديد من الآثار السلبية، ومالم يتفطن لها الخبراء والمتخصصون ويعملون على إيجاد حلول ومعالجات لها لأنه كما يقال: لا توجد مشكلة إلا ولها حل، فإنها تستفحل ويشتد خطرها، لذا فسوف يتم الحديث في هذا المبحث عن الآثار المترتبة على ازدراء هذه المهن والعاملين فيها، وبيان طرق ووسائل علاجها وذلك وفق المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أثر ازدراء هذه المهن والعاملين فيها

هناك العديد من الآثار المترتبة على ازدراء هذه المهن والعاملين فيها ومنها:

١ -**الانفصام الشديد بين ما يتعلمه المسلمون من قيم أخلاقية في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما يمارسونه من تطبيق عملي لتلك القيم والأخلاقيات.**

حيث يفخر المسلمون بأن دينهم الإسلامي هو دين القيم والفضائل، ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]. فهو دين مستقيم في المعتقدات والعبادات والمعاملات، يقرر وحدة الجنس البشري، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١] ، وتكريمه، ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]. ويدعوا إلى المساواة في الحقوق والواجبات، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]. ويضع ميزان التفاضل عند الله وهو التقوى لا الأنساب والأحساب، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات: ١٣]. وغيرها من النصوص التي تم إيرادها في المبحث الثالث، عند الحديث عن تكريم الجنس البشري، والتي تعتبر حجج دامغة لكل من يقرأها ثم يذهب بعيدًا عنها في ممارسته اليومية وتعاملاته الإنسانية، فيصبح متبجحًا بِحَسَبه ونسبه، متغطرسًا على أبناء جنسه، في ظاهرة انفصامية شديدة الوضوح بين ما يدعيه من قيم حثه عليها الإسلام، وبين ما يمارسه من سلوكيات وتصرفات، وهو ما يصدق فيه وفي أمثاله قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

وهذا لأثر يشتد سوءً في المجتمعات ذات الطابع القبلي كاليمن، حيث أن كثيرًا من الوظائف والأعمال تتم عبر التزكية والمحسوبية، والوساطة القبلية، وتضيع كثيرًا من الكوادر التي كان بالإمكان أن تقدم أداءً أفضل بسبب المستوى الأسري أو المكانة الاجتماعية، وقد مرَّ في المبحث الثالث كيف أن كثيرًا ممن امتهنوا هذه المهن أو انتسبوا إليها صاروا أئمة في الدين، وصناع نهضة فكرية وحضارية حقيقية.

٢ -**انكماش الجانب الاقتصادي، واهدار كثيرًا من الموارد.**

وبالذات في بعض المهن كصناعة الفخار، ودباغة الجلود، حيث يأنف كثيرًا من أبناء الممتهنين لهذه المهن – وبالذات الجيل الناشئ- من مزاولة العمل فيها، وبعيدًا عن تدني الدخل ربما فيها، فإن للنظرة المجتمعية دورًا كبيرًا أيضًا في تراجع هذه الصناعات وهيمنة المستورد الخارجي على السوق المحلية، وقد أوردت مجلة العربي الجديد تقريرًا عن معاناة اليمن بسبب تراجع كبير في صناعة الجلد التي تكالبت عليها مجموعة من المعوقات المزمنة – ومنها قلة الوعي، واحتقار العاملين فيها- لتأتي الحرب وتضعها على قائمة الصناعات المندثرة. تقول الصحيفة إن انتاج الجلود في اليمن وصل إلى اثنى عشر ألف وتسعمائة طن في عام ٢٠١٢م، قبل أن تبدأ هذه الصناعة التي كانت تستوعب أكثر من ٣٠٠٠ عامل بالانحدار، وتحول بعض العاملين إلى سماسرة يجمعون الجلود لتصديرها للخارج() .

٣ -**تطبع بعض أرباب هذه المهن مع النظرة المجتمعية نحوهم وعدم ترفعهم عن بعض الأفعال المشينة.**

وذلك بسبب الضغط المجتمعي وإلصاق كل فعل مشين بهم حتى لو كان فاعله من غيرهم، فيقال في المجتمع اليمني لكل من رؤي يفعل فعلًا سيئًا كالتحرش بالنساء مثلًا هذا قليل أصل، أو ما عنده أصل يردعه، وهذا الوصف التعميمي ظلمٌ صريح، إذ أن من يصفهم المجتمع بأنهم قليلي أصل فيهم من هو أكثر عفةً وشرفًا ونزاهة من كثير من غيرهم. ثم من أعطاك الميزان الذي به تزن أصل القبائل فتعرف أن هذا قليل أصل، وهذا كثير أو كبير أصل، ناهيك عن أن هذا الميزان سيبقى حتى مع من يعدون أنفسهم قبائل فسيُظهر هذا الميزان العرفي أن القبائل ليست متساوية في الشرف فهناك الشريف والأشرف، وهكذا يستمر في تمزيق النسيج الاجتماعي، وهي ظاهرة أحسن ما يمكن وصفها بأنها موروث جاهلي صبغها البعض ثوبًا إسلاميًا أو عرفيًا.

والجدير بالذكر هنا أن هذه النظرة الدونية، وهذه الوصف الذي يصر المجتمع على إلصاقه بهم قد كان له أثرًا سيئًا على كثير من أبناء هذه المهن، فعزف كثير منهم عن التعليم، وصار التسول صفة بارزة لبعض أرباب هذه المهن كما هو الحال بالنسبة للمهمشين والذين يعمل أغلبهم في النظافة، وصارت كثير من نسائهم يختلطن بالرجال في الأسواق خصوصًا أسواق القات، ويتعرضن لأعمال وتصرفات مشينة، وربما كن هن من يفعل ذلك كي يحصلن على فتات من القات أو قليل من المال، وصارت الغالبية من الذين يمتهنون هذه المهن يتعاملون بأعراف اجتماعية خاصة بهم، من الاختلاط في الأفراح والمناسبات، ونحوها وكأنهم مجتمع آخر داخل المجتمع، وصدق المتنبي حيث قال:

من يهن يسهل الهوان عليه... ما لجرح بميت إيلام()

كل هذه الأمور هي مشاهدة ومعايشة، ولعل أحد أسبابها هو ما سبق بيانه من النظرة الاستعلائية التي يمارسها المجتمع نحو أرباب هذه المهن، الأمر الذي أدى ببعضهم أن ينفلت من ربقة القيود الأخلاقية ويتطبع مع تلك النظرة السيئة ويتعامل معها كما لو كانت حقيقة لا تقبل التعديل.

٤ -**تكريس التفرقة العنصرية وارتكاب بعض الجرائم الجنائية**

حيث تعمل الأسر اليمنية على عدم إقامة أي صلات تناسب أو مصاهرة بينها وبين من يمتهنون هذه المهن (الجزارة، والحلاقة، والدباغة، وصناعة الفخار في بعض المناطق والأسر، وزراعة الفجل والكراث، وغيرها من المهن التي يعدها المجتمع اليمني بأنها مهن دونية) وإذا حصل زواج فالقبيلة تتدخل للضغط من أجل الانفصال سواءً بعد الزواج مباشرة، أو وقت اكتشاف النسب ولو كانوا قد رزقوا بالأولاد.

بل قد يصل الأمر إلى أشد من ذلك فقبل خمس سنوات() حصل خلاف بين أحد الأبناء مع والده على قضايا مالية، والابن قد كان متزوج وعنده ولدين، ولعلمه بحساسية والده من مهنة الجزارة فقد فتح حانوتًا صغير من الزنج وجعله ملحمة، غير أنه لم يكن يدرك أنه بهذا الفعل قد تجاوز كل الخطوط الحمراء في نظر القبيلة وبالتالي لم يستمر في عمله أكثر من ثلاثة أيام، حيث أتى جده قبل الظهر وهو في ذروة العمل ليفرغ على صدره قرنًا كاملًا من الرصاص ويصير هو كومًا من اللحم بجانب اللحم الذي يبيعه() .

فهذه الآثار السيئة هي نتيجة التشبع القبلي بـ الأنا الأعلى، والابتعاد عن كل القيم الأخلاقية التي يدعوا إليها الإسلام، صحيح أن التفاضل بين البشر قائمًا، لكن ذلك لا يستلزم الاحتقار والازدراء، أو إهدار الدم، وتشتيت الشمل.

المطلب الثاني: طرق ووسائل علاج العرف الاجتماعي ازاء تلك المهن والقائمين عليها

هناك العديد من الطرق والوسائل والتي يمكن بمجموعها علاج هذه النظرة الدونية إزاء تلك المهن وتعتبر في نفس الوقت هي توصيات هذه الدراسة ومنها:

١ -**توسيع دائرة الوعي حول المبادئ الإسلامية التي نادى بها الإسلام**، فغالبية المشاكل نابعة من قلة الوعي، وفي هذا الصدد يتم التركيز على مبدأ المساواة بين الناس كقاعدة انطلاق رئيسية لبيان خطأ النظرة الاستعلائية تجاه

البعض بسبب ما يقدمونه من خدمات هي في غاية الأهمية ولا يستغني عنها أي مجتمع من المجتمعات، وهناك الكثير من النصوص القرآنية والنبوية التي تدعم هذه النقطة، وقد سبق بيان كثير منها، ولا بأس بالتذكير بها منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١] ، وفي سياق التكريم قال: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وفي سياق الدعوة إلى المساواة في الحقوق والواجبات قال: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

وهكذا نصوص السنة النبوية الكثيرة التي تؤكد أصل المساواة ومنها قول الرسول –صلى الله عليه وسلم- كما في حديث أبي هريرة «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»() .

٢ -العمل على رفع الروح المعنوية لدى أصحاب هذه المهن، والإشادة بدورهم الفعال في المجتمع، ومساعدتهم لتجاوز عقدة النقص الموجودة لديهم بسبب عدة عوامل سبق بيانها()، وتشجيعهم للمشاركة الفاعلة في العديد من المراكز المرموقة في المجتمع عبر التعليم، والسياسة، والتجارة، ونحوها مما سيكون له أثر كبير في تعديل النظرة السلبية لدى شريحة كبيرة من أبناء المجتمع اليمني.

النتائج والتوصيات

خلص البحث إلى النتائج التالية:

١ -عدم إمكان قيام مجتمع حضاري لا يوجد فيه من يعمل بهذه المهن والأعمال الحرفية.
٢ -النظرة الاستعلائية تجاه أصحاب هذه المهن تدل على سوء تفسير وفهم بعض النصوص الشرعية.
٣ -الرفعة والمجد تكتسب بالعلم والكفاءة وليس عبر الجينات الوراثية.

ولذا يوصي الباحث بالآتي:

١ -تضمين المقررات الدراسية ومادة الثقافة بالذات مواضيع تتحدث عن أهمية العمل الحلال، وتشيد بأصحاب المهن الحرفية بمختلف مجالاتها، وتبين الدور الجمالي والحضاري الذي يقدموه للمجتمع، وتدعوا لاحترامهم، وتكريمهم لا لاحتقارهم وازدرائهم.

٢ -قيام وسائل الإعلام بإعداد برامج توعوية أو كوميدية ترفع من شأن أصحاب هذه المهن، وتحطم الثقافة التقليدية القائمة على النظرة الاستعلائية.

٣ -دعوة الباحثين في مجال الثقافة والفكر الإسلامي لدراسة هذه الظاهرة وإفراد كل جزئية منها بدراسة مستقلة، وتقديم رؤية واضحة وحلول نافعة تسهم في إزالة الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد.

وفي ختام هذا العمل أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب له القبول، ولصاحبه وقارئيه الأجر والحبور، ﭽ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﭼ [البقرة: ٢٨٦]. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

(١) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: (٢٣٤٨٩). (٤٧٤/٣٨).

(٢) انظر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (٢١٣٤/٣).

(٣) انظر: **كتاب العين**، الفراهيدي، (٦١/٤). **و تهذيب اللغة**، الأزهري، (١٧٤/٦).

(٤) **العين**، الفراهيدي، (٦١/٤). **وتهذيب اللغة**، الأزهري، (١٧٤/٦). **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزَّبيدي، (٢١٨/٣٦).

(٥) **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عمر، ٣/ ٢١٣٥.

(٦) **المرجع السابق**، ٢١٥٦/٣.

(٧) **لسان العرب**، ابن منظور (٥١١/١٣).

(٨) **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عمر، ٢١٥٦/٣.

(٩) **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، سعدي أبو حبيب، (ص:٢٤٩).

(١٠) انظر: **التعريفات**، الجرجاني، (ص: ١٤٩). **والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، الكفوي، (ص:٦١٧).

(١١) طب بيطري. Wikipedia.org .https://ar.m تأريخ المشاهدة ٢٠٢٢/١٠/١٩م.

(١٢) دباغة، **Wikipedia.org** https://ar.m. تأريخ المشاهدة ٢٠٢٢/١٠/١٩م.

(١٣) **موضوع عن صناعة الفخار مع مقدمة وخاتمة**، آية أحمد قزوق، آخر تحديث ١٤/ يونيو/٢٠٢م https://www.almrsal.com

(١٤) **صفحة سمير النمري على الفيس بوك** بتأريخ ١٩/ مارس/ ٢٠٢٢م.

(١٥) ارشيف الحياة الأسرية، موقع **startimes.com** https://www.تأريخ المشاهدة ٢٠٢٢/١٠/١٦م.

(١٦) **تاج العروس**، الزَّبيدي، (١٣٤/١٥).

(١٧) **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى، وآخرون،(٤٣٩/١).

(١٨) **تكملة المعاجم العربية**، رينهارت، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، (٥٣/٤).

(١٩) **فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام**، العثيمين، (٢٤٨/٤).

(٢٠) **لسان العرب**، ابن منظور (١١٧/١٢).

(٢١) انظر: **مجلة كلية الطب البيطري**، جامعة كربلاء، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، veterinary.uokerba.edu. و.alsudaninews.com,. بتصرف كبير.

(٢٢) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: (٤)، (٧/١). وقد تكرر برقم: (٣٢٣٨) ورقم: (٤٩٢٢) ورقم: (٤٩٢٤) ورقم: (٤٩٢٥) ورقم: (٤٩٢٦) ورقم: (٤٩٥٦).

(٢٣) **أخرجه البخاري في صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب جلود الميتة قبل أن تدبغ، حديث رقم: (٢٢٢١)، (٨١/٣).-

(٢٤) **سنن ابن ماجه**، كتاب اللباس، باب لبس الجلود الميتة إذا دبغت، حديث رقم: (٣٦١٠)، (٦٠٣/٤).

(٢٥) موقع وكالة سبأ نت، عبدالسلام الدعيس، وموقع https://ar.m.wikipedia.

(٢٦) انظر: ٢٢net.raseef. خالد قايد، الثلاثاء، ٢٠/ أغسطس، ٢٠١٩م.

(٢٧) انظر: **موقع صناع المال**، مشروع محل جزارة،https://economy.faharas.net ١٢/يونيو/ ٢٠٢٢م.

(٢٨) يصل عدد أصحابها في محافظة تعز فقط إلى(٥٢٥) عامل يتوزعون في شوارع المدينة ومختلف المديريات والمناطق الريفية، وتظهر أهمية هذه المهنة في اليمن خصوصًا مع إطالة أمد الحرب، حيث تدهور الوضع اقتصادي، بل وانقطعت رواتب الموظفين في معظم المحافظات اليمنية، مما جعل الكثير يعمد إلى خياطة حذائه لأكثر من مرة، بل ويعمد البعض إلى خياطتها بعد الشراء مباشرة وقبل لبسها.انظر: **https;// mohammshen-yem.nt.** مقال بعنوان الإسكافيون في اليمن ... معاناة معيشية قاسية وإهمال مجتمعي وحكومي، عبدالغني عقلان الصبري، ١/ نوفمبر/ ٢٠٢١م.

(٢٩) com.https;// mawdoo٣ .

(٣٠) وكانت عينة الدراسة هم طلاب الثانوية والجامعة، وعددهم مائة، تم إجراء الاستبيان لهم عبر مجموعات الوتس.

(٣١) أستاذ الأحياء الدقيقة والأمراض المشتركة، كلية الطب البيطري، جامعة ذمار، في حوار أجرته معه قناة آزال، انظر: azaalchanncl. com .

(٣٢) أستاذ الأحياء الدقيقة والأمراض المشتركة، كلية الطب البيطري، جامعة ذمار، في حوار أجرته معه قناة آزال، انظر: azaalchanncl. com .

(٣٣) **موقع خيوط**، عمال النظافة» بين مطرقة التهميش وسندان كورونا، خالد عبدالواحد، فئة عمالية بلا حقوق وحماية " ، الخميس، ٦/ أغسطس/٢٠٢٠.https://www.khuyut.com

(٣٤) **صحيفة أخبار اليوم**، مقال بعنوان: عمال النظافة في اليمن صفحات من القهر والحرمان، https://akhbaralyom.net ٢٠١١/٧/٢٤م.

(٣٥) https://www.echorukline.com

(٣٦) مقال لمصطفي السداوي حول واقع النظافة في اليابان، ٢٧/يناير/ ٢٠١٨م.

(٣٧) **صحيفة الأيام**، المهن المنبوذة في الريف اليمني بين الإرث المتجذر والسلوك الحضاري، رشيد سيف، الجمعة،(٦/ يوليو/ ٢٠٢١.). تم نشر التقرير بدعم من jdh/jhr صحفيون من أجل حقوق الإنسان والشؤون العالمية في كندا. تمت المشاهدة يوم الأحد، الساعة ١١.ص. ٣٠/ أكتوبر،٢٠٢٢م.

(٣٨) **مجلة الرصيف**، خالد قايد، مقال بعنوان: «ينظرون إلينا باحتقار" .. ثقافة القبيلة تحاصر أيدي وقلوب شباب اليمن، الثلاثاء، ٢٠ أغسطس/ ٢٠١٩م . ttps://raseef٢٢ تمت المشاهدة بتأريخ ٢٣/ ٢٠٢٢/١٠م

(٣٩) سنورد مجموعة من الأدلة على ذلك في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

(٤٠) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، (٣٧٠/١٩).

(٤١) **مفاتيح الغيب**، الرازي (٣٣٦/١٧).

(٤٢) **تفسير القرآن**، السمعاني (٤٢٤/٢).

(٤٣) **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﭼ [الحجرات: ١٣]، حديث رقم: (٣٤٩٣)، (١٧٨/٤).

(٤٤) **نيل الأوطار**، الشوكاني (٩٩/٥).

(٤٥) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، (٧٨/١٦).

(٤٦) **البيان في مذهب الإمام الشافعي**، يحيى بن أبي الخير، (٢٨٥/١٣).

(٤٧) **إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)** أبو بكر (المشهور بالبكري) الدمياطي (٣٨٠/٣).

(٤٨) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، العينى، (٢١١/١١).

(٤٩) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، (١٨٠/٨) .

(٥٠) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، (٣٤١/١٦).

(٥١) **تاريخ أصبهان**، الأصبهاني، (٣٦/١).

(٥٢) **أصل الحديث في صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب ذكر الخياط، حديث رقم: (٢٠٩٢)، ٦١/٣.

(٥٣) انظر: **المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، ٢٣١/١٤.

(٥٤) **المرجع السابق**، ١٧٨/١٢.

(٥٥) **شعب الإيمان**، البيهقي، رقم الحديث: (١٠٤٦٩) (٣٤٩/١٣).

(٥٦) **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، الألباني، رقم الحديث: (٢٠٢٣)، (٣٨/٥).

(٥٧) **الرصيف**، خالد قايد، مقال بعنوان: ينظرون إلينا باحتقار ... ثقافة القبيلة تحاصر أيدي وقلوب شباب اليمن، الثلاثاء، ٢٠/ أغسطس/ ٢٠١٩م، ttps://raseef٢٢ تمت المشاهدة في ٢٠٢٢/١٠/٢٣م.

(٥٨) انظر: **التربية الإسلامية**، الصف الثالث الثانوي، الدرس التاسع «المساواة بين الناس» ص:٦٠، ط، ١٤٣٥- ٢٠١٤م.

(٥٩) **مقال بعنوان عقدة النقص** على موقع https://arz.m.wikipedia.org بتأريخ ٢٠٢٠/١٢/١٤م. تمت المشاهدة بتأريخ ٢٠٢٢/١١/٨م.

(٦٠) انظر: **الرصيف**، خالد قايد، مقال بعنوان: ينظرون إلينا باحتقار ... ثقافة القبيلة تحاصر أيدي وقلوب شباب اليمن، الثلاثاء، ٢٠/ أغسطس/ ٢٠١٩م، ttps://raseef٢٢ تمت المشاهدة في ٢٠٢٢/١٠/٢٣م.

(٦١) **مفاتيح الغيب**، ١٤٢/١٦.

(٦٢) **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم: (٢٠٧٤)، ٥٧/٣.

(٦٣) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الأصبهاني، (١٣٠/١).

(٦٤) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: فسنيسره لليسرى) حديث رقم: (٤٩٤٩)، (١٧١/٦).

(٦٥) **المرجع السابق**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم: (٢٠٧٢)، (٥٧/٣).

(٦٦) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند عائشة –رضي الله عنها- حديث رقم: (٢٤١٤٨)، (١٧٩/٤٠).

(٦٧) السمسار هو: الدلال. كما ذكر ذلك ابن حجر. انظر: **فتح الباري**، (١٣٤/١). والحديث في الصحيحين أن رسول نهى عن تلقي الركبان وأن لا يبيع حاضر لباد، ولما سئل ابن عباس ما معنى أن لا يبيع حاضر لباد؟ قال: أن يكون له سمسار. وقد جعل الإمام مسلم عنوان الباب هو: باب تحريم بيع الحاضر للباد، وعلى الرغم من النهي الصريح إلَّا أن ابن سيرين، وإبراهيم، والعطاء، والحسن لم يروا بأسًا بأجرة السمسار ورأيهم هذا يحمل على من يعمل ذلك بأمانة ونصح دون خداع وبخس لأحد. انظر: **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب النهي عن تلقي الركبان لأن صاحبه عاص آثم إذا كان به عالم وهو خداع في البيع، والخداع لا يجوز، حديث رقم: (٢١٦٣)، (٧٢/٣- ٩٢). **وصحيح مسلم**، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للباد، حديث رقم: (١٥٢١)، (١١٥٧/٣).

(٦٨) **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، حديث رقم: (١٣١٢)، (٨٥/٢).

(٦٩) **صحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة واهل النار، حديث رقم: (٢٨٦٥)، (٢١٩٨/٤).

(٧٠) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصفهاني، ١٠٠/٢.

(٧١) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: (٢٣٤٨٩). (٤٧٤/٣٨).

(٧٢) **البيت مذكور في البداية والنهاية**، لابن كثير، (١١٧/١١). ولم ينسبه لأحد.

(٧٣) **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب فضائل زكريا عليه السلام، حديث رقم: (٢٣٧٩)، (١٨٤٧/٤).

(٧٤) **المحرر الوجيز**، ابن عطية،(٩٣/٤).

(٧٥) **إنسانية المرأة وإيجابيتها في حضارتنا الإسلامية**، عبد الحليم عويس، موقع الألوكة، http://www.alukah.net/ spotlight/٥١٦٤٢/٠/#

(٧٦) **سير أعلام النبلاء**، (٢٣/ ٢٥٦).

(٧٧) **فوات الوفيات**، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين، (١٦٠/٢).

(٧٨) **الوافي بالوفيات**، الصفدي، (٩٩/٩).

(٧٩) **سير أعلام النبلاء**، ٢٤١/١٧.

(٨٠) **الوافي بالوفيات**، الصفدي، ٢٢/ ٨٩.

(٨١) **تأريخ بغداد**، (٧١/٦).

(٨٢) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ٥٣٥/٨.

(٨٣) **الوافي بالوفيات**، الصفدي، ٢٧١/٣.

(٨٤) **معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**، عادل نويهض، (٥٥٨/٢).

(٨٥) **الوافي بالوفيات**، الصفدي، ٥/ ١٢٩.

(٨٦) **سير أعلام النبلاء**، ٥٠٥/١٥.

(٨٧) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد، (٦٣٦/٧).

(٨٨) كان أبوه وأقاربه جزارين بالفسطاط، وكان هو في أول أمره قصاباً، فحام على الأدب مدة حتى اشتهر. وشعره سهل يلقى قبولاً لسهولته وخفة روحه؛ انظر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ابن خلكان، (٩٨/١).

(٨٩) **شذرات الذهب**، ابن العماد، (٦٣٦/٧).

(٩٠) المرجع السابق.

(٩١) **الأعلام**، الزركلي، (١١٩/٤).

(٩٢) **الأعلام**، الزركلي، (١٠٣/١).

(٩٣) **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ابن الجوزي، (٤٦٠/١٨).

(٩٤) **سير أعلام النبلاء**، ١٩/ ٢٣٥.

(٩٥) **صناعة الجلود في اليمن تواجه خطر الاندثار**، نقلًا من قناة المهرية، على اليوتيوب، بتأريخ ٢٠٢٢/١،١١م.

(٩٦) **ديوان المتنبي**، (ص:١٣٦) من قصيدة يمدح فيها أبي الحسن علي بن أحمد الخرساني. .

(٩٧) بالتحديد عام ٢٠١٧م

(٩٨) هذه الحادثة حصلت قريبًا من منطقتنا، وبالتحديد في محافظة إب، فوق مدينة القاعدة بقليل، جوار بيت الوراق، ولعل القضية أحيلت إلى محكمة ذي السفال.

(٩٩) **سنن أبي داود**، كتاب الأدب، باب التفاخر بالأحساب، حديث رقم: (٥١١٦)، (٣٣١/٤).

(١٠٠) انظر: ص:١١-١٦. أسباب النظرة الدونية للعاملين في المهن المنبوذة.

قائمة المراجع والمصادر

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر والمراجع

١ -إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي، تـ: (١٣١٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، ط١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢ -الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، تـ:(١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

٣ -البيان في مذهب الإمام الشافعي، يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني، تـ: (٥٥٨هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج – جدة- ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.

٤ -تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي، تـ: (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٥- تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، تـ: (٤٣٠هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت- ط١، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

٦- تأريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تـ: (٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت- ط١، ١٤١٧ هـ.

٧- التربية الإسلامية، الصف الثالث الثانوي، الدرس التاسع «المساواة بين الناس» ط، ١٤٣٥- ٢٠١٤م.

٨- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تـ: (٨١٦هـ)، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان-.الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٩- تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني تـ:(٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية- ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٠- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، تـ: (١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.
١١- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تـ:(٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط١، ٢٠٠١م.
٢١- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، تـ: (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٣١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ
٤١- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تـ: (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة- ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
١٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، تـ: (٤٣٠هـ)، السعادة - دار الكتاب العربي – بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، تـ: (١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية- ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م
٧١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة، تـ: (٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٨١- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تـ: (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت- .
١٩- سير أعلام النبلاء، : أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تـ: (٧٤٨هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣ ، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ مجلد
٢٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، تـ:(١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت- ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٢١- شرح ديوان المتنبي، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تـ:(٤٦٨هـ)، من الشاملة مرقم آليًا غير موافق للمطبوع.
٢٢- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، تـ: (٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.
٢٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العينى، تـ: (٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت
٢٤- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تـ: (١٧٠هـ)،
٢٥- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق: بحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
٢٦- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين، تـ: (٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت- الطبعة: الأولى
٢٧- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق – سورية- ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تـ: (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت-.
٢٩- الكنى والأسماء، محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الدولابي الرازي، تـ: (٣١٠هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم – بيروت، لبنان-
٣٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الإفريقي، تـ: (٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت- ط٣ - ١٤١٤ هـ.
٣١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تـ:(٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت- ط١ - ١٤٢٢ هـ

٣٢- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ)، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا. ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
٣٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تـ: (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٣٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تـ: (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، - بيروت .
٥٣- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، تـ:(١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
٣٦- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان- ط٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
٧٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات وآخرون، دار الدعوة.
٣٨- مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي تـ:(٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٣ - ١٤٢٠هـ.
٣٩- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، تـ: (١٤٠٨هـ)، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م
٤٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تـ: (٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط٢، ١٣٩٢هـ.
٤١- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تـ: (١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٢- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تـ: (٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت- ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
٤٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، تـ:(٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت- ط١، ١٩٠٠م.

المواقع والمجلات

١- almrsal.com تأريخ المشاهدة١٢/١٠/٢٠٢٢م.
٢- azaalchanncl.com . تأريخ المشاهدة ٨/١٠/٢٠٢٢م.
٣- https://arz.m.wikipedia.org بتأريخ ١٤/١٢/٢٠٢٠م. تمت المشاهدة بتأريخ ٨/١١/٢٠٢٢م.
٤- com.echorukline.www//:https تأريخ المشاهدة ٤/١٠/٢٠٢٢م.
٥- com.https;// mawdoo٣. تأريخ المشاهدة ١٣/١٠/٢٠٢٢م.
٦- https;//mohammshen-yem.nt. تأريخ المشاهدة ٢١/١٠/٢٠٢٢م.
٧- Wikipedia.org تأريخ المشاهدة ١٩/١٠/٢٠٢٢م.
٨- Wikipedia.org تأريخ المشاهدة ١٩/١٠/٢٠٢٢م.
٩- إنسانية المرأة وإيجابيتها في حضارتنا الإسلامية، عبد الحليم عويس، موقع الألوكة، http://www.alukah. net/ spotlight/٥١٦٤٢/٠#
١٠- صحيفة أخبار اليوم، مقال بعنوان: عمال النظافة في اليمن صفحات من القهر والحرمان، ٢٤/٧/٢٠١١م.
١١- صحيفة الأيام، المهن المنبوذة في الريف اليمني بين الإرث المتجذر والسلوك الحضاري، رشيد سيف، الجمعة ٦/ يوليو/ ٢٠٢١. تم نشر التقرير بدعم من jdh/jhr صحفيون من أجل حقوق الإنسان والشؤون العالمية في كندا. تمت المشاهدة يوم الأحد، الساعة ١١.ص. ٣٠/ أكتوبر،٢٠٢٢م.
٢١- صفحة سمير النمري على الفيس بوك بتأريخ ١٩/ مارس/ ٢٠٢٢م.قناة المهرية، على اليوتيوب، بتأريخ ١١، ٢٠٢٢/١م.
٣١- مجلة الرصيف، خالد قايد، مقال بعنوان: «ينظرون إلينا باحتقار" .. ثقافة القبيلة تحاصر أيدي وقلوب شباب اليمن، الثلاثاء، ٢٠ أغسطس/ ٢٠١٩م تمت المشاهدة بتأريخ ٢٣/ ١٠/ ٢٠٢٢م. ٢٢ net.Rasef
٤١- مجلة كلية الطب البيطري، جامعة كربلاء، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، veterinary.uokerba.edu. و alsudaninews.com.,
٥١- موقع startimes.com تأريخ المشاهدة ١٦/١٠/٢٠٢٢م.
٦١- موقع startimes.com تأريخ المشاهدة ١٦/١٠/٢٠٢٢م.
٧١- موقع صناع المال، مشروع محل جزارة. تأريخ المشاهدة ١٢/١٠/٢٠٢٢م.

١٨- موقع وكالة سبأ نت. تأريخ المشاهدة ١٥/١٠/٢٠٢٢م.